Comprehensive Journal of Humanities and Educational Studies
المجلة الشاملة للدراسات الإنسانية التربوية
Volume 2, Issue 4, 2026, Pages: 231-239
Journal homepage :http://cjhes.com.ly/index.php/cjhes/en/index

The Philosophical Relationship Between Cause and Effect

Mousa Alsanousi Almahdi Abd Alrazzq *
Department of Education Psychology, Faculty of Education, Ghat, Sebha University, Libya

العلاقة الفلسفية بين العلّة والمعلول

موسى السنوسي المهدي عبدالرزاق *
قسم التربية وعلم النفس، كلية التربية غات، جامعة سبها، ليبيا

*Corresponding author: mou.abdalrazzaq2@sebhau.edu.ly

Received: September 10, 2026	Accepted: October 11, 2026	Published: November 01, 2026

Abstract:
The relationship between cause and effect is one of the central issues in both classical and modern philosophical thought, as it forms the foundation for interpreting existence and understanding natural and metaphysical phenomena. This study examines the philosophical relationship between cause and effect by tracing its roots in Greek philosophy, its development in Islamic thought, and its transformation in modern Western philosophy. It also analyzes the concept of causal necessity and the correlation between cause and effect from rational and existential perspectives. Using a comparative analytical approach applied to primary philosophical texts by thinkers such as Aristotle, Avicenna, Al-Ghazali, Averroes, Descartes, Hume, and Heidegger, the study reveals points of convergence and divergence in interpreting causality. The findings indicate that Islamic thought moved beyond the Aristotelian material conception toward a more comprehensive view linking causality with divine will, whereas modern Western thought tended to strip cause and effect of its metaphysical character in favor of epistemological and empirical analysis. The study concludes that the philosophical relationship between cause and effect constitutes a universal explanatory principle of existence that cannot be separated from the axiological and spiritual dimensions of human knowledge.

Keywords: Cause, Effect, Causality, Islamic Philosophy, Western Philosophy, Existence, Metaphysics.

الملخص
تُعدّ العلاقة بين العلّة والمعلول من أبرز القضايا المحورية في الفكر الفلسفي القديم والحديث على حدّ سواء، إذ تمثّل الأساس في تفسير الوجود وفهم الظواهر الطبيعية والميتافيزيقية. يسعى هذا البحث إلى دراسة العلاقة الفلسفية بين العلّة والمعلول من خلال تتبّع جذورها في الفلسفة اليونانية، وتطوّرها في الفكر الإسلامي، وتحوّلها في الفلسفة الغربية الحديثة، كما يركّز البحث على تحليل مفهوم الضرورة السببية ومدى تلازم العلّة بالمعلول من منظورٍ عقليٍّ ووجوديٍّ. وقد اعتمد الباحث المنهج التحليلي المقارن بين النصوص الفلسفية الأصلية لفلاسفةٍ مثل أرسطو، وابن سينا، والغزالي، وابن رشد، وديكارت، وهيوم، وهايدغر، للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف في تفسير علاقة العليّة. وأظهرت النتائج أن الفكر الإسلامي تجاوز

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المفهوم الأرسطي المادي إلى تصوّرٍ أكثر شمولاً يربط بين السببية والإرادة الإلهية، بينما اتجه الفكر الغربي الحديث إلى نزع الطابع الميتافيزيقي عن العلّة والمعلول لصالح تحليلٍ معرفيٍّ وتجريبيٍّ. ويخلص البحث إلى أن العلاقة الفلسفية بين العلّة والمعلول تمثّل مبدأً تفسيرياً كلياً للوجود، لا يمكن فصله عن البعد القيمي والروحي للمعرفة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: العلّة، المعلول، السببية، الفلسفة الإسلامية، الفلسفة الغربية، الوجود، الميتافيزيقا.

المقدّمة

تُعدّ مسألة العلّة والمعلول من أقدم القضايا التي شغلت الفكر الإنساني منذ بدايات الفلسفة، إذ تمثّل الركيزة التي يقوم عليها تفسير الوجود والظواهر الطبيعية، فضلاً عن كونها الأساس في بناء المعرفة البشرية. فكلّ سؤالٍ عن سبب وجود شيءٍ ما أو كيفية حدوثه يرتبط في جوهره بمبدأ العليّة الذي يفترض وجود علاقة ضرورية بين السبب والنتيجة، كما يرى أرسطو (أرسطو، 1994). وقد شكّلت هذه الفكرة محوراً رئيساً في مسيرة الفلسفة، من أرسطو الذي صاغ مفهوم العلل الأربع، إلى الفلاسفة المسلمين الذين أعادوا تفسيرها في ضوء عقيدة التوحيد والإرادة الإلهية (المرزوقي، 2010؛ ابن سينا، 1952).

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يعالج مبدأً فلسفياً مركزياً يشترك في بحثه الفلاسفة على اختلاف ثقافاتهم، ويكشف عن التحوّلات التي طرأت على مفهوم العليّة عبر العصور. كما يهدف إلى تحليل العلاقة بين العلّة والمعلول من منظورٍ وجوديٍّ ومعرفيٍّ مقارن بين الفكرين الإسلامي والغربي، وقد قُسّمت الدراسة إلى خمسة مباحث تمثّل خطة البحث وهي:

- المبحث الأول: الإطار المفاهيمي.
- المبحث الثاني: العلّة والمعلول في الفلسفة اليونانية.
- المبحث الثالث: العلّة والمعلول في الفلسفة الإسلامية.
- المبحث الرابع: العلّة والمعلول في الفكر الغربي الحديث.
- المبحث الخامس: البعد الميتافيزيقي والمعرفي للعلاقة بين العلّة والمعلول.

وينطلق البحث من إشكالية أساسية مفادها أنّ العلاقة بين العلّة والمعلول ليست مجرد علاقة سببية ميكانيكية، بل هي علاقة وجودية تعبّر عن نظام الوجود نفسه، وتكشف عن صلة العقل بالكون والإرادة الإلهية.

ويعتمد البحث المنهج التحليلي المقارن، من خلال تحليل النصوص الفلسفية الأصلية، ومقارنة الرؤى المختلفة حول العليّة في الفكرين الإسلامي والغربي، للوصول إلى فهمٍ شاملٍ للعلاقة بين العلّة والمعلول في أبعادها الميتافيزيقية والعقلية، ثم ذُيّلت الدراسة بالخاتمة والتوصيات وقائمة المراجع.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي

تعريف العلّة والمعلول

تُعدّ العلّة من المفاهيم المحورية في التفكير الفلسفي، إذ ترتبط بمبدأ السببيّة الذي يُفسّر به الإنسان الظواهر ويُقيم عليه نظام المعرفة، وقد تعددت تعريفات العلّة باختلاف المدارس الفلسفية. فالعلّة في اللغة مأخوذة من «العَلَل» أي السبب أو الموجب، أما في الاصطلاح الفلسفي فهي «ما به يوجد الشيء» كما قال الكندي (الكندي، 1986). أما ابن سينا فعرّفها بأنها «ما يتوقّف عليه وجود المعلول توقّفاً ضرورياً بحيث يمتنع وجود المعلول دونها»، أما المعلول فهو «ما لا يمكن أن يوجد إلا بوجود علّته»، أي الأثر أو النتيجة المترتّبة على السبب (ابن سينا، 1952).

ويشير الفارابي إلى أنّ العلّة ليست مجرد سببٍ ماديٍّ بل هي مبدأ للوجود والمعرفة، فهي ما يفسّر ماهيّة الشيء وسبب غايته (الفارابي، 1993). ومن هنا ارتبط مفهوم العلّة في الفلسفة الإسلامية بفكرة «الواجب الوجود» الذي تُستمد منه سائر الموجودات.

أما في الفلسفة الحديثة، فقد أعاد ديكارت تعريف العلّة باعتبارها فكرة فطرية في العقل البشري لا مكتسبة بالتجربة، قائلاً إنّ «لكلّ شيء سبباً يبرّر وجوده» (ديكارت، 2007). بينما رأى هيوم أنّ هذا التصوّر غير

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مبرهن، إذ إنّ الإنسان لا يُدرك الضرورة بين السبب والنتيجة بل يكوّنها من تكرار المشاهدة (هيوم، 2005).

أنواع العلّل في الفلسفة

قدّم أرسطو أوّل تصنيف منهجي لأنواع العلّل، فقسّمها إلى أربع (أرسطو، 1994):

1. العلّة المادية: وهي ما يتكوّن منه الشيء، كالمادة الخام التي تتشكّل منها الموجودات.
2. العلّة الصورية: وهي الصورة أو البنية التي تُعطي الشيء ماهيّته وهويّته.
3. العلّة الفاعلية: وهي السبب المباشر الذي يُحدث التغيير أو الوجود.
4. العلّة الغائية: وهي الغرض أو الهدف الذي من أجله وُجد الشيء.

وقد تبنّى الفلاسفة المسلمون هذا التصنيف وأضافوا إليه بُعداً ميتافيزيقياً، إذ رأوا أنّ العلّة الأولى هي الله تعالى، الواجب الوجود بذاته، الذي تصدر عنه الموجودات على سبيل الفيض لا على سبيل الخلق الزمني (ابن سينا، 1952).

الفرق بين السببية الفلسفية والسببية العلمية

تختلف السببية في الفلسفة عنها في العلم من حيث الطبيعة والغاية؛ فالسببية الفلسفية تبحث في مبدأ الوجود ذاته وتحاول تفسير لماذا يوجد الشيء، فهي تتعلّق بالميتافيزيقا وبالعلل الأولى. أما السببية العلمية فتنحصر في ملاحظة الظواهر واكتشاف القوانين التي تربط بينها، دون الخوض في الغايات أو المقاصد الوجودية.

وقد أوضح الغزالي هذا التمييز حين أنكر أن يكون تتابع الظواهر علّة ذاتية، بل عادة أجراها الله في الكون (الغزالي، 2009). بينما يرى ابن رشد أن هذا النفي يُفضي إلى إبطال العلم ذاته، لأنّ العلم قائم على ثبوت العلاقات السببية بين الأشياء (ابن رشد، 1985). وفي الفلسفة الحديثة، أكّد كانط أن السببية مبدأ عقلي قبلي يُنظّم التجربة الإنسانية، لا خاصية في الأشياء نفسها، فهي شرط لإمكان المعرفة وليست وصفاً للواقع الخارجي (كانط، 2008).

العلاقة الضرورية بين العلّة والمعلول

تناولت الفلسفات القديمة والحديثة مسألة الضرورة في علاقة العلّة بالمعلول؛ فبينما أكّد أرسطو وابن سينا أنّ المعلول لا يمكن أن ينفصل عن علّته، اعتبر هيوم أنّ هذا الارتباط ليس ضرورياً بل احتمالياً تجريبياً (أرسطو، 1994؛ ابن سينا، 1952؛ هيوم، 2005). من خلال هذا العرض يتّضح أنّ مفهوم العلّة والمعلول تطوّر من التفسير الحسيّ المادي عند اليونان إلى تفسيرٍ عقليٍّ ميتافيزيقيٍّ عند الفلاسفة المسلمين، ثم إلى تحليلٍ معرفيٍّ تجريبيٍّ في الفلسفة الحديثة. فالعليّة في جوهرها مبدأ يربط الفكر بالوجود، ويعبّر عن محاولة الإنسان الدائمة لفهم النظام الكامن وراء الكون والعقل على حدّ سواء.

المبحث الثاني: العلّة والمعلول في الفلسفة اليونانية

تمهيد

تُعدّ الفلسفة اليونانية الأصل التاريخي لمفهوم العلّة والمعلول في الفكر الفلسفي العالمي، إذ شكّلت المرحلة الأولى في صياغة التصورات المنهجية عن مبدأ السببية؛ فقد انشغل الفلاسفة قبل سقراط بالبحث عن «مبدأ الوجود الأول» الذي تنشأ عنه الأشياء، وهو ما يمثّل في جوهره بحثاً عن العلّة الأولى. رأى طاليس مثلاً أن الماء هو أصل كلّ موجود، بينما اعتبر أنكسيمانس الهواء هو المبدأ الأول، في حين جعل هيراقليطس النار مبدأ الحركة والتغيّر (نصر، 2008).

بهذا المعنى، كان التفكير في العلّة عند الفلاسفة الأوائل تفكيراً طبيعياً مادياً لا ميتافيزيقياً، قائماً على محاولة تفسير الكون بعلّة محسوسة يمكن إدراكها بالحسّ والمشاهدة.

أفلاطون والعلّة المثالية

انتقل مفهوم العلّة في فلسفة أفلاطون إلى بُعدٍ ميتافيزيقيٍّ أعمق، إذ رفض الاقتصار على الأسباب المادية المحسوسة، وعدّها مجرد ظلالٍ لعالم المثل، فالموجودات الحسية في رأيه ليست عللاً حقيقية، بل مظاهر لمثالٍ أعلى في عالمٍ مفارق (أفلاطون، 1994).

ويرى أفلاطون أن العلّة الغائية هي الأهم، لأنّ كلّ موجود يسعى إلى تحقيق غاية وجوده التي تعود إلى «الخير الأعلى»، وهو العلّة الأولى لكلّ ما في الوجود، وبذلك وضع أساس الفهم الغائي للكون الذي سيؤثّر

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

لاحقاً في أرسطو والفلاسفة المسلمين، حيث يرى أن «الخير هو العلّة الأولى لكلّ ما هو موجود ومعلوم، وهو الذي يمنح الأشياء وجودها ومعرفتها» (أفلاطون، 1994).

أرسطو ونظرية العلّل الأربع

قدّم أرسطو أوضح صياغة فلسفية لمفهوم العلّة والمعلول، إذ جعل العلم الحقيقي هو العلم بالعلل، وأكّد أن معرفة الشيء تكتمل فقط بمعرفة لماذا وُجد وكيف وُجد (أرسطو، 1994). وصنّف العلّل إلى أربع كما في الفيزياء والميتافيزيقا:

1. العلّة المادية: ما منه يكون الشيء، كالنحاس في صناعة التمثال.
2. العلّة الصورية: ما به يكون الشيء على ما هو عليه، أي شكله أو صورته.
3. العلّة الفاعلية: ما به يحدث الشيء أو يتكوّن، كالنجّار بالنسبة للباب.
4. العلّة الغائية: الغاية التي من أجلها وُجد الشيء، كالمنفعة أو الغرض.

لقد جمع أرسطو بين المبدأ الطبيعي والغائي، فاعتبر أن كلّ حركة في الطبيعة موجّهة نحو غاية، وأنّ العلّل متداخلة ومتعاونة في إنتاج الموجودات، كما أكّد أن العلّة الغائية هي أسمى العلّل لأنها تحدّد الاتجاه الذي تسير نحوه الأشياء (أرسطو، 1994). حيث يقول: «لكلّ موجود علّة تفسّر وجوده، والعلم بالشيء إنما هو العلم بعلّته الأولى» (أرسطو، 1994).

العلة عند الرواقيين والأبيقوريين

مع الفلسفة الهلنستية، خاصة عند الرواقيين، اكتسب مفهوم العلّة بُعداً كونياً قدرياً، إذ اعتبروا أن الكون يسير وفق نظام حتمي تحكمه سلسلة مترابطة من العلّل والمعلولات، لا مجال فيها للصدفة (نصار، 1980). فالعلّة عندهم قوة عاقلة تسري في المادة وتنظّمها، وهي مبدأ الحياة في الكون، ومن ثمّ فإنّ «العقل الكوني» (اللوغوس) هو العلّة الفاعلة الكبرى.

في المقابل، رفض الأبيقوريون فكرة الحتمية الكاملة، مؤكدين أن حركة الذرّات يمكن أن تتضمّن انحرافاً عشوائياً بسيطاً يفسّر حرية الإرادة الإنسانية، وهنا بدأ الجدل حول العلاقة بين العلّة والاختيار، الذي سيعود بقوة في الفلسفة الإسلامية والحديثة: «إنّ الطبيعة كلّها تخضع لقانون العلّة، غير أنّ إرادة الإنسان تظلّ قادرة على توجيه أفعاله ضمن هذا النظام» (نصار، 1980).

يظهر من خلال تطوّر الفكر اليوناني أن مفهوم العلّة انتقل من التفسير الطبيعي المادي إلى التفسير العقلي الغائي؛ فقد مثّل أرسطو ذروة هذا التطوّر بصياغته لنظرية العلّل الأربع التي جمعت بين المادة والصورة والفاعل والغاية، مؤسِّساً بذلك لنظام فلسفي شامل للوجود. هذا التراث اليوناني أصبح لاحقاً المنطلق الذي اعتمد عليه الفلاسفة المسلمون في تطوير مفهوم العلّة والمعلول، إذ مزجوا بين الفكر العقلي الأرسطي والمعتقدات الدينية في محاولةٍ للربط بين السبب الطبيعي والإرادة الإلهية.

المبحث الثالث: العلّة والمعلول في الفلسفة الإسلامية

تمهيد

حين انتقل التراث الفلسفي اليوناني إلى العالم الإسلامي، وجد فيه الفلاسفة المسلمون أداة لفهم الوجود من منظورٍ عقليّ منسجم مع العقيدة الإسلامية. غير أنّهم لم يكتفوا بالنقل، بل أعادوا بناء مفهوم العلّة والمعلول ضمن إطارٍ توحيدي يجعل الله تعالى هو العلّة الأولى والمبدأ الأسمى لكلّ موجود (المرزوقي، 2010).

لقد مثّل مفهوم العلّة في الفكر الإسلامي حلقة وصلٍ بين العقل والوحي، وبين الفلسفة واللاهوت، فصار ميداناً للتأمل في كيفية صدور الكائنات عن الخالق، وعلاقة الأسباب الطبيعية بالإرادة الإلهية.

الكندي: العلّة الأولى ومبدأ الفيض

يُعدّ يعقوب بن إسحاق الكندي أول فيلسوف عربي مسلم حاول التوفيق بين الفلسفة والعقيدة الإسلامية، وقد تبنّى التصوّر الأرسطي للعلّة، لكنه جعل «العلّة الأولى» هي الله، الخالق لكلّ شيءٍ على غير مثالٍ سابق، يقول الكندي: «العلّة هي ما به يوجد الشيء، والمعلول ما به يكون الشيء موجوداً» (الكندي، 1986).

ورأى أن الله هو العلّة الفاعلة الأولى التي تصدر عنها جميع الكائنات، وأن كلّ ما سواه ممكن الوجود يستمد وجوده من الواجب. وبذلك أدخل الكندي مبدأ الفيض كصيغة لتفسير العلاقة بين الخالق والمخلوق، دون أن ينفي الإرادة الإلهية.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الفارابي: العلّة الأولى والعقل الفعّال

أما أبو نصر الفارابي فقد طوّر نظرية الكندي ضمن بناءٍ ميتافيزيقيٍّ محكم. يرى الفارابي أن العلّة الأولى هي «الواجب الوجود» الذي لا علّة له، ومنه يفيض الوجود على الموجودات عبر سلسلة من العقول السماوية حتى يصل إلى «العقل الفعّال»، الذي هو علّة الوجود في العالم السفلي (الفارابي، 1993).

وتتميّز نظرية الفارابي بدمجها بين التفسير العقلي والميتافيزيقي للعلّة، إذ جعل المعلولات مترتبة ترتيباً ضرورياً على العلّة الأولى، بحيث يستحيل وجودها إلا بوجودها.

ابن سينا: المعلول كوجود ممكن

قدّم ابن سينا أكثر النماذج نضجاً في معالجة قضية العلّة والمعلول في الفلسفة الإسلامية، فقد فرّق بين الواجب الوجود بذاته والممكن الوجود بغيره، واعتبر أن الممكن لا يتحقّق إلا بعلّة تُفيض عليه الوجود، قال ابن سينا: «إنّ المعلول لا ينفكّ عن علّته كما لا ينفكّ النور عن الشمس» (ابن سينا، 1952).

فالعلّة عنده ليست فقط ما يسبق المعلول زمنياً، بل ما يسبقه وجودياً وضرورياً، وبهذا نقل مفهوم العليّة من مستوى الزمان إلى مستوى الوجود، مما جعل فلسفته ميتافيزيقية بامتياز، كما رأى أن العلاقة بين العلّة والمعلول علاقة فيضٍ دائم، لا خَلقٍ من عدم، لأنّ الواجب لا يمكن أن يصدر عنه إلا ممكن الوجود، بقدرٍ محدّدٍ من الكمال (نصار، 1980).

الغزالي: نفي الضرورة السببية

قدّم أبو حامد الغزالي نقداً جذرياً لنظرية العلّة والمعلول كما صاغها الفلاسفة. ففي كتابه «تهافت الفلاسفة»، أنكر وجود علاقة ضرورية بين السبب والنتيجة، مؤكداً أن الاقتران بينهما هو عادة أجراها الله في خلقه، وليس ارتباطاً ذاتياً (الغزالي، 2009).

قال الغزالي: «ليس في الاقتران بين ما يُعدّ سبباً وما يُعدّ معلولاً ضرورةٌ عقلية، بل هو من جريان عادة الله في خلقه» (الغزالي، 2009).

وبذلك أرسى أساساً لتمييزٍ مهمٍّ بين السببية الإلهية والسببية الطبيعية؛ فالله وحده هو الفاعل الحقيقي، وما الطبيعة إلا أداة لإظهار قدرته. هذا النقد أثار جدلاً واسعاً في الفكر الإسلامي، لأنه وضع حدوداً للعقل في تفسير نظام الكون.

ابن رشد: الدفاع عن الضرورة العقلية

جاء ابن رشد ليدافع عن السببية العقلية ضد الغزالي، ورأى أن إنكار الضرورة بين العلّة والمعلول يؤدي إلى هدم أساس العلم والمعرفة. يقول ابن رشد: «لو جاز أن يقع المعلول دون علّته لجاز أن يوجد العلم دون التعلّم والنار دون احتراق» (ابن رشد، 1985).

فالعقل — في رأيه — يدرك الترابط الضروري بين الأحداث من خلال التجربة والعقل معاً، لأنّ الكون قائم على نظامٍ ثابتٍ لا يتبدّل إلا بإرادة الله، لكن هذه الإرادة لا تُبطل الأسباب بل تُقيمها، وبذلك حاول ابن رشد التوفيق بين إيمان الغزالي بقدرة الله المطلقة، وبين ضرورة السببية التي يقوم عليها العلم العقلي.

يتّضح من دراسة الفلسفة الإسلامية أنّ مبدأ العلّة والمعلول شهد تطوراً نوعياً، من التفسير العقلي الأرسطي إلى التفسير الميتافيزيقي الروحي. فالكندي والفارابي وابن سينا ربطوا العلّة الأولى بالفيض والواجب الوجود، والغزالي نقل النقاش إلى ميدان العقيدة نافياً الضرورة العقلية لصالح القدرة الإلهية المطلقة، أما ابن رشد فدافع عن السببية كشرطٍ للعلم.

لقد نجح الفكر الإسلامي في تحويل مفهوم العلّة والمعلول من علاقةٍ مادية إلى علاقةٍ وجودية تعبّر عن الصلة بين الخالق والمخلوق، والعقل والوجود، والضرورة والإرادة.

المبحث الرابع: العلّة والمعلول في الفكر الغربي الحديث

تمهيد

شهدت الفلسفة الغربية الحديثة تحوّلاً جذرياً في تناولها لمفهوم العلّة والمعلول، إذ انتقلت من التفسير الميتافيزيقي الذي ساد عند أرسطو والفلاسفة المدرسيين إلى التفسير العقلي ثم التجريبي، متأثرةً بالثورة العلمية في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أصبحت العليّة تُدرس بوصفها مبدأً للمعرفة أو أداةً لفهم الظواهر الطبيعية، لا باعتبارها علاقة وجودية مطلقة بين الأشياء. وبهذا تغيّر السؤال من «لماذا يوجد الشيء؟» إلى «كيف يحدث الشيء؟» (هايدغر، 2012).

ديكارت: العلّة كفكرة فطرية

اعتبر رينيه ديكارت أن مبدأ العلّة والمعلول من القضايا البديهية الفطرية في الذهن البشري، لا المكتسبة بالتجربة. في كتابه «تأملات في الفلسفة الأولى»، يؤكّد أن لكلّ شيءٍ سبباً كافياً لوجوده، وأن الفكرة الأوضح عن الله — الكامل اللامتناهي — لا يمكن أن تصدر عن عقلٍ محدودٍ إلا إذا كان الله هو علّتها الحقيقية (ديكارت، 2007). ويرى أيضاً أن «الشيء الأشد كمالاً لا يمكن أن يكون علّته موجوداً في شيءٍ أقل كمالاً منه» (ديكارت، 2007).

وبهذا جعل ديكارت العلاقة بين العلّة والمعلول علاقة عقلية ضرورية، قائمة على مبدأ «السبب الكافي»، الذي يفسّر وجود كلّ فكرةٍ وكلّ جوهرٍ بعلّةٍ مطابقةٍ لكماله.

هيوم: نقد الضرورة السببية

قدّم ديفيد هيوم نقداً جذرياً لفكرة العلّة والمعلول، معتبراً أنها ليست علاقة موضوعية في الأشياء، بل عادة ذهنية تنشأ من تكرار التجربة. ففي كتابه «بحث في الفاهمة البشرية»، يقول: «إنّ ما نسمّيه علاقة سببية ليس سوى عادة ذهنية ناتجة عن تكرار المشاهدة» (هيوم، 2005).

ويرى هيوم أنّ الإنسان لا يُدرك الضرورة بين السبب والنتيجة، بل فقط تتابع الأحداث في الزمان، مما يجعل السببية مبدأً نفسياً لا عقلياً؛ فحين نرى النار تليها حرارة، نعتقد بوجود علاقة سببية بينهما، لكننا في الحقيقة لا نرى سوى التعاقب. وهذا الموقف الشكّي أضعف الأساس العقلي للعلم، لكنه فتح المجال أمام إعادة تفسير العلاقة بين العلّة والمعلول كمبدأً للمعرفة لا للوجود.

كانط: السببية كمبدأ قبلي للمعرفة

ردّ إيمانويل كانط على هيوم بإعادة بناء مفهوم السببية في إطارٍ نقديٍّ جديد؛ ففي «نقد العقل المحض»، اعتبر أن العليّة مبدأ قبلي في العقل الإنساني، أي أنها شرط لإمكان التجربة والمعرفة، لا نتيجة لها إذ يقول: «السببية ليست مستمدة من التجربة، بل هي ما يجعل التجربة ممكنة أصلاً» (كانط، 2008).

وبهذا جعل كانط العلاقة بين العلّة والمعلول علاقة تركيبية قبلية تنتمي إلى بنية الذهن، لا إلى طبيعة الأشياء؛ فالإنسان لا يعرف الأشياء في ذاتها، بل من خلال الأطر العقلية التي ينظّم بها الظواهر، ومنها مبدأ السببية. ومن هنا فقد أعاد كانط الاعتبار إلى الضرورة السببية، لكن بوصفها ضرورة معرفية، لا ميتافيزيقية.

هيغل: العلّة كجدل للروح

ذهب هيغل إلى أن العلّة والمعلول ليسا مفهومين منفصلين، بل لحظتان في حركة الروح المطلقة. فالعلّة عنده ليست سابقة على المعلول، بل تتحقّق ذاتها في المعلول من خلال جدل النفي والتجاوز، أي أن المعلول هو اكتمال العلّة في مستوى أعلى (هيغل، 1980). حيث يقول: «العلّة تصير معلولاً، والمعلول يعود علّة، وهذه الحركة هي ذاتها حركة الحقيقة» (هيغل، 1980).

وبهذا قدّم هيغل فهماً ديالكتيكياً للعليّة يجعلها مبدأً حيوياً في تطوّر الفكر والوجود معاً، لا علاقة خارجية بين أشياء ثابتة.

هايدغر: العلّة بوصفها كشفاً للوجود

أما مارتن هايدغر، فقد أعاد النظر جذرياً في مفهوم العلّة من خلال نقده للفكر الغربي الذي حوّل الوجود إلى موضوعٍ للسيطرة التقنية. ففي دراسته «السؤال عن التقنية»، يرى أن العلّة ليست علاقة إنتاجٍ بين شيئين، بل طريقة في الكشف عن الوجود (هايدغر، 2012).

لذلك يرى أن «العلّة ليست ما يُحدث شيئاً، بل ما يُتيح ظهوره في أفق الوجود» (هايدغر، 2012).

يربط هايدغر العليّة بفعل «الإحضار إلى الظهور»، حيث تُفهم العلّة في إطارٍ وجوديٍّ يعبّر عن انفتاح الكائن على الحقيقة، وهذا التحليل يجعل العلاقة بين العلّة والمعلول ضرباً من التجلّي لا السببية الميكانيكية.

من خلال هذا العرض يتبيّن أن الفكر الغربي الحديث أعاد صياغة مفهوم العلّة والمعلول وفق مناهج متعددة:

1. ديكارت جعلها مبدأً عقلياً فطرياً.
2. هيوم أنكر ضرورتها وجعلها عادة نفسية.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

3. كانط جعلها شرطاً قبلياً للمعرفة.
4. هيغل نظر إليها كجدل ديالكتيكي للروح.
5. هايدغر تجاوزها إلى مستوى الوجود، حيث العلّة ليست «سبباً» بل «كشفاً».

وبذلك انتقل المفهوم من إطار التفسير الموضوعي إلى الفهم الأنطولوجي للوجود، مما مهّد لقراءة جديدة للعلاقة بين الإنسان والعالم تتجاوز الحتمية السببية نحو الحرية والمعنى.

المبحث الخامس: البعد الميتافيزيقي والمعرفي للعلاقة بين العلّة والمعلول

تمهيد

تشكّل العلاقة بين العلّة والمعلول محوراً رئيساً في كلٍّ من الفلسفة الميتافيزيقية والفلسفة المعرفية؛ فالميتافيزيقيا تبحث في طبيعة الواقع وماهيته، بينما تبحث المعرفة في كيفية إدراك هذه الطبيعة وفهم العلاقات التي تربط الظواهر بعضها ببعض. ويبرز هذا البعد عند الفلاسفة المسلمين والغربيين على حدٍّ سواء، إذ تتقاطع قضية العلّة والمعلول مع الأسئلة عن الوجود والضرورة والاحتمال، كما تتصل بحدود العقل البشري في إدراك العالم (نصار، 1980).

البعد الميتافيزيقي

في الفكر الإسلامي:

- عند ابن سينا، تُعدّ العلاقة بين العلّة والمعلول علاقة وجودية ضرورية، فالعلّة الواجبية تفيض بالوجود على الممكن، مما يجعل المعلول جزءاً من نظام الوجود الكلي (ابن سينا، 1952).
- عند الغزالي، تنحصر الميتافيزيقا في قدرة الله المطلقة، وتنفي ضرورة السببية بين العلّة والمعلول، فالعالم المادي مجرد أداة لإظهار إرادة الله (الغزالي، 2009).

في الفكر الغربي:

- ينفي هيوم الضرورة الميتافيزيقية للسببية، ويعتبرها عادة ذهنية لا أكثر (هيوم، 2005).
- يرى كانط أن العلّة ضرورة معرفية قبلية تجعل التجربة ممكنة، لكنها لا تكشف عن طبيعة الأشياء ذاتها (كانط، 2008).
- يتناول هيغل وهايدغر البعد الوجودي للعلّة والمعلول، إذ تتحقّق العلّة من خلال المعلول، والعلاقة بينهما تعكس حركة تطوّر الروح والوجود (هيغل، 1980؛ هايدغر، 2012).

البعد المعرفي

يركّز البعد المعرفي على فهم السببية كأساس للعلم والمعرفة:

في الفكر الإسلامي:

- رأى ابن رشد أن السببية ضرورة عقلية، وبدونها لا يمكن بناء معرفة علمية مستقرة (ابن رشد، 1985).
- يساعد التمييز بين العلّة الأولى والعلّل الثانوية العقلَ على تفسير الظواهر الطبيعية دون نفي الإرادة الإلهية (المرزوقي، 2010).

في الفكر الغربي:

- ديكارت: السببية مبدأ عقلي فطري لتفسير وجود كلّ فكرةٍ أو جوهرٍ (ديكارت، 2007).
- هيوم: السببية عادة ذهنية تساعد على التنبؤ بالظواهر لكنها ليست معرفة يقينية (هيوم، 2005).
- كانط: السببية شرط قبلي للمعرفة، أي أنها إطار ذهني ضروري لفهم التجربة (كانط، 2008).
- هيغل وهايدغر: السببية ليست علاقة آلية، بل فهم لعملية تطوّر الوجود، مما يوسّع حدود المعرفة إلى أفق فلسفي وجودي (هيغل، 1980؛ هايدغر، 2012).

التلاقي بين البعدين

يتّضح أن العلاقة بين العلّة والمعلول تحمل بعدين متداخلين:

- الميتافيزيقي: يجيب عن سؤال «لماذا يوجد شيء؟» ويربط الوجود بالمبدأ الأول أو بالقوانين الداخلية للعالم.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

- المعرفي: يجيب عن سؤال «كيف نفهم وجود الشيء؟» ويربط الإدراك البشري بالنظام السببي الذي يُمكّننا من التنبؤ بالظواهر.

في الفكر الإسلامي، يبرز بُعد التوحيد والارتباط بالعلّة الأولى. أما في الفكر الغربي الحديث، فيبرز البعد المعرفي والتجريبي، مع اهتمام متزايد بالبعد الوجودي والفلسفي كما عند هيغل وهايدغر.

ونخلص إلى أن البعد الميتافيزيقي يرى أن العلّة والمعلول يعكسان طبيعة الوجود، سواء باعتبار العلّة الأولى في الفكر الإسلامي أو العلاقة الجدلية في الفكر الغربي، بينما يرى البعد المعرفي أن العلّة ضرورية لإدراك النظام الطبيعي، سواء كضرورة عقلية أو كشرط قبلي للمعرفة؛ والربط بين البعدين يقتضي أن تجمع أي فلسفة ناجحة في دراسة العلّة والمعلول بين فهم طبيعة الوجود وفهم العقل البشري الذي يدرسه.

الخاتمة والتوصيات

لقد استعرض البحث العلاقة الفلسفية بين العلّة والمعلول عبر مدارس فكرية متعددة، من الفلسفة اليونانية القديمة إلى الفكر الإسلامي والغربي الحديث، وصولاً إلى الأبعاد الميتافيزيقية والمعرفية للعلاقة. ويمكن تلخيص النتائج كما يلي:

تنوع المفهوم عبر المدارس الفلسفية:

- الفلسفة اليونانية: ركّز أرسطو على الضرورة الطبيعية، حيث المعلول تابع طبيعي للعلّة (أرسطو، 1994).
- الفلسفة الإسلامية: التركيز على العلّة الأولى (الله) وعلاقة المعلول بالعلّة في إطار وجودي وميتافيزيقي (ابن سينا، 1952؛ الغزالي، 2009).
- الفكر الغربي الحديث: تنوّع بين السببية العقلية (ديكارت، 2007)، والتشكيك في الضرورة السببية (هيوم، 2005)، والضرورة المعرفية (كانط، 2008)، والحركة الجدلية للوجود (هيغل، 1980)، وفهم العلّة بوصفها كشفاً للوجود (هايدغر، 2012).

البعد الميتافيزيقي والمعرفي:

- الميتافيزيقي: يركّز على طبيعة الوجود، وضرورة العلّة الأولى أو العلاقة الجدلية بين العلّة والمعلول.
- المعرفي: يركّز على إدراك الإنسان للعالم، حيث تصبح السببية شرطاً لفهم الظواهر، سواء كشرط عقلاني أو قبلي أو وسيلة للتنبؤ بالواقع.

التلاقي بين الفكر الإسلامي والغربي الحديث:

- على الرغم من اختلاف المقاربات، يلتقي الفكران في الاعتراف بأهمية العلّة لفهم النظام الكوني.
- يبرز الفكر الإسلامي البعد الإلهي الميتافيزيقي، ويركّز الفكر الغربي الحديث على البعد المعرفي والتجريبي، مع محاولة إعادة فهم البعد الوجودي كما عند هيغل وهايدغر.

النتيجة الكبرى: العلاقة بين العلّة والمعلول ليست مجرد مسألة سببية ميكانيكية، بل هي مفتاح لفهم طبيعة الوجود والوعي الإنساني وطريقة إدراكه للظواهر. ومن خلال هذه العلاقة، يتّضح أن أي دراسة فلسفية للعالم لا يمكن أن تتجاهل التفاعل بين طبيعة الأشياء وطبيعة المعرفة البشرية.

كما تنتهي الدراسة بتوصيات هي:

- تعميق الدراسة المقارنة: يُستحسن إجراء دراسات مقارنة بين الفكر الإسلامي والغربي في مسائل العلّة والمعلول لتسليط الضوء على نقاط التشابه والاختلاف.
- إدراج البحث التجريبي: دمج فلسفة العلّة والمعلول مع العلوم التجريبية يمكن أن يعزّز فهم السببية من منظور معرفي وميتافيزيقي.
- تطبيق البعد الوجودي: استثمار مفاهيم هيغل وهايدغر في الدراسات الفلسفية المعاصرة لفهم العلاقة بين الإنسان والوجود بطريقة أعمق وأكثر شمولية.
- نشر الثقافة الفلسفية: تشجيع الأبحاث الأكاديمية على تبسيط هذه المفاهيم وإيصالها للطلاب والباحثين بطريقة منهجية ومترابطة بين المدارس المختلفة.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

فالعلاقة إذن بين العلّة والمعلول تظل من أهم المسائل الفلسفية، لأنها تجمع بين الميتافيزيقا، والمنطق، والمعرفة. ومن خلال دراسة هذه العلاقة، يمكن فهم:

- طبيعة الوجود وأسبابه؛
- حدود العقل البشري في إدراك الظواهر؛
- كيفية ربط القوانين الطبيعية بالقيم الإنسانية والفلسفية.

وبذلك، فإن البحث عن العلّة والمعلول ليس مجرد مسألة نظرية، بل هو بوابة لفهم أعمق للوجود والعالم والإدراك الإنساني، مما يجعله محوراً مستمراً للبحث الفلسفي والأكاديمي.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

المراجع:

[1] أفلاطون. (1994). *الجمهورية* (فؤاد زكريا، مترجم). مكتبة الأنجلو المصرية.

[2] أرسطو. (1994). *الميتافيزيقا* (عبد الرحمن بدوي، مترجم). دار النهضة.

[3] ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد. (1985). *تهافت التهافت*. دار الفكر العربي.

[4] ابن سينا، الحسين بن عبد الله. (1952). *الشفاء: الإلهيات* (إبراهيم مدكور، محقق). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[5] ديكارت، رينيه. (2007). *تأملات في الفلسفة الأولى* (عثمان أمين، مترجم). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[6] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (2009). *تهافت الفلاسفة* (سليمان دنيا، محقق). دار المعارف.

[7] الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد. (1993). *البرهان* (محسن مهدي، محقق). دار المشرق.

[8] كانط، إيمانويل. (2008). *نقد العقل المحض* (موسى وهبة، مترجم). المنظمة العربية للترجمة.

[9] الكندي، يعقوب بن إسحاق. (1986). *رسائل الكندي الفلسفية* (محمد عبد الهادي أبو ريدة، محقق). دار الفكر العربي.

[10] المرزوقي، أبو يعرب. (2010). *مفهوم العلية في الفلسفة الإسلامية*. دار اليازوري.

[11] نصار، ناصيف. (1980). *نظرية المعرفة عند ابن سينا*. دار الطليعة.

[12] نصر، حسين. (2008). *تاريخ الفكر الفلسفي القديم*. دار الهادي.

[13] هايدغر، مارتن. (2012). *الكينونة والزمان* (فؤاد كامل، مترجم). دار التنوير.

[14] هيغل، جورج ف. و. (1980). *علم المنطق* (إمام عبد الفتاح إمام، مترجم). مكتبة مدبولي.

[15] هيوم، ديفيد. (2005). *بحث في الفاهمة البشرية* (موسى وهبة، مترجم). المنظمة العربية للترجمة.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **CJHES** and/or the editor(s). **CJHES** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).